

Decolonizing the Moroccan Archive تحرير الأرشيف المغربي من الاستعمار الترجمة العربية

ياسمين: أهلاً، اسمي ياسمين بن عبدالله، سينمائية وفنانة بصرية من المغرب. أشتغل بشكل أساسي على أسئلة الذاكرة والتاريخ والأرشيف والطقوس، كما أهتم بموضوع الجسد وبحميمية العلاقة بتاريخنا وسبل انتزاعه واسترداده.

ريم: أهلاً، اسمي ريم مجدي، أنا أيضاً سينمائية ومخرجة ومنتجة أفلام وقيمة فنية. تتركز اهتماماتي حول أسئلة الذاكرة الجماعية، وكذلك الانقلابات التي سببتها الحداثة والاستعمار في الممارسات الفكرية والثقافية المغربية.

ياسمين: أنا وريم زميلتان وصديقتان أيضاً. فكرنا سوياً في إجراء هذه المحادثة بغاية مناقشة الممارسة السينمائية من خلال تجربتنا في فضاء المغرب، حيث طمس الأرشيف، ولا يزال تاريخنا يُنتزَع منا. نبتغي أيضاً، من خلال هذه المحادثة، استطلاع الطبيعة الموجودة مع الأرشيف، تلك الطبيعة التي نقف عندها وعليها في حميميتنا وأجسادنا الخاصة: أرشيفات يجب أن نستعيدها ونتملكها. يمكن اعتبار هذه الكلمات التمهيديّة مقدّمة للآتي من الأفكار المتناولة في هذا النقاش...

ريم: أجل، ومن خلال عملنا المشترك، يُحوز سؤال الأرشيفات مكانة هامة في ممارساتنا الشخصية، وهي ذات المكانة التي يشغلها في تعاوننا الجماعي على مشاريع مختلفة. لقد ابتدأ الأمر بتقييم عام لوضعية الأرشيف في المغرب، ولنا أن نعطيكم لمحة عن المؤسسات المغربية المسؤولة عن هذا المجال: أولها المركز السينمائي المغربي الذي يمكن اعتباره جهاز التمويل الأساسي لقطاع السينما، وفي الوقت نفسه الجهة الإدارية التي تصدر عنها تراخيص التصوير، إلخ. منذ سنوات خلت، حاول هذا المركز إنشاء خزانة سينمائية تتضمن محتويات سمعية وبصرية مغربية، ونظراً لقلّة الموارد المالية، ولدواع بيروقراطية أخرى، باءت هذه المحاولة بالفشل. المؤسسة الثانية تتمثل في الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة (SNRT)، بكل محطاتها الجهوية، وهي التي تضع يدها على أرشيف ضخم يعود إلى فترة الاستقلال وحتى يومنا هذا. هنالك أيضاً مؤسسة أرشيف المغرب، وهي مؤسسة عمومية تأسست العام 2012، وهي الجهة الرئيسية الساهرة على تجميع كل أرشيف البلد، ليس السمعي والبصري منه، وإنما الأرشيف برمته وبكل أنواعه. هذا ونجد جهات مستقلة تسهر على الأرشيف، من بينها الخزانة السينمائية بطنجة، وهي مؤسسة فريدة في المغرب، تعتنى بالأرشيف السمعي البصري... ياسمين، أنت اشتغلت مع خزانة طنجة، هل لك أن تحدّثينا بعض الشيء عن اهتمامات وتحديات هذه المؤسسة؟

ياسمين: في مجال الأرشيف المغربي، أرى من المفيد أولاً الاعتناء بمسألة صيانة وحفظ الأرشيف داخل فضاءات مخصصة لذلك، وبعد ذلك تأتي نقطة إتاحتها للمختصين وعموم المهتمين. إنّ الخزانة السينمائية بطنجة، على اعتبارها الفضاء الوحيد للسينما المستقلة في المغرب، تطرح مجموعة من الأسئلة بهذا الخصوص. تتوفر الخزانة على أرشيف سينمائي مهم للغاية، علاوة على مجموعة خاصة من الصور التي مُنحت لها. تحاول إذن المؤسسة إدراك كيفية إتاحة الأرشيف، لكي يكون مفتوحاً للاطلاع أو حتى للاستعمال في إطار مشاريع. لكن المؤسسة تجد نفسها في مواجهة متاهة كبيرة من أسئلة المشروعية والنصوص القانونية التي تنظم إشكاليات الحقوق. وهذه مسألة كبيرة تحدثت فيها أنا وأنت يا ريم. مسألة بلوغ الأرشيف. لا توجد معلومات كافية على الويب بشكل عام، في ما يخص المؤسسات، الشيء الذي لا يناسب بلداً لا يزال يعاني من مشاكل متعلّقة بالتنقل وحيث تتركز المؤسسات في العاصمة الرباط. وتغذي النصوص القانونية الحالية صعوبة بلوغ الأرشيف التي تبقى في نفس غير كاملة... لا من حيث مسألة الاطلاع، أو من حيث الوضع القانوني أو من حيث استعمال الأرشيف في مشاريع فنية أو بحثية. بقيت هذه النصوص القانونية على حالها منذ الاستعمار ممثلة بقايا من هذا النظام. حيث مازالت السلطات تحافظ متعمدة على الوضع الراهن، وبذلك يصبح الاغتراب الذي يحسه الشعب المغربي إزاء تاريخه ومعرفته أعقد. و يكمل كل هذا بضعف التواصل بين المؤسسات. تتداخل إذن المهمات الأصلية لهذه المؤسسات في ما يخص الجانب القانوني الشيء الذي يخلق إرباكاً كبيراً: فحين تتجه لمؤسسة معينة يمكن أن تحيلك على مؤسسة أخرى معللة أن ذلك ليس من

اختصاصاتها القانونية، وتدخلك في لعبة بينغ - بونغ حيث كل مؤسسة ترمي بك للأخرى... وبكل سهولة قد تشعر بالإحباط بسبب الأنظمة البيروقراطية السائدة. لكننا أردنا كذلك التأكيد على أن تحرير الأرشيف من الاستعمار لا يحقق فقط بالعمل مع مؤسساتنا هنا، بل كذلك مع المؤسسات الغربية ومالكي المجموعات الأرشيفية الخاصة الغربيين الذين يعيشون هنا. أعرف أن لديك تجربة مع المسألة، هل لك أن تنبشي في هذا قليلاً.

ريم: من خلال محادثتنا، من أهم الأشياء التي يجب علينا فعلها هو التنديد بقلة المبادرة في ما يخص أولاً إعادة أرشيفنا الذي تملكه المؤسسات الأوروبية، التي في غالب الأحيان ترفض إعادة الأرشيف، أو حتى إعطاء نسخ منه! حدث هذا مؤخراً مع مؤسسة أرشيف المغرب. طالبت المؤسسة باسترداد أرشيف عبد الكريم الخطابي رمز المقاومة المغربية ضد الاستعمار الإسباني، فقبل طلبهم بالرفض. هذه الأرشيفات توجد بحوزة فرنسا، ورفضت هذه الأخيرة إعادة إعادتها بعد ثلاث أشهر من المفاوضات. المشكل الآخر والذي تكلمت عنه، وهو ما أسميه بـ"السياحة الأرشيفية"، حيث يبني أو يرث أشخاص غربيون مجموعات أرشيف خاصة. أو حتى يتمكنون من الوصول لأرشيفات عمومية ويعتبرون هذه الأرشيفات ملكهم. متناسين أن من يملكها حقاً هو الشعب المغربي أولاً وأنها ملكٌ عام. وهذا المشكل المتعلق بالوضع القانوني للأرشيف حاضر جداً: ما هي الملكية المادية في مقابل الملكية الحقيقية، الرمزية؟

سأعطي مثلاً بشكل مقتضب: خلال عملنا على برنامج "شريطة" الذي هو مهرجان تقع تظاهراته في الفضاء العام، ويتطرق لأسئلة الذاكرة الجماعية والتاريخ وعلاقتنا بتاريخنا، واحدة من الفنانة التي دعيت لإقامة فنية كانت تبحث عن صور أرشيف حول تاريخ الاستعمار في المغرب من نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين. عندما اتصلت برجل مسؤول عن مجموعة خاصة ومهمة من الأرشيف بمراكش، رفض أن يتيح لنا وللفنانة الأرشيفات تحت حجة أنها ملك له. هذا ما قادنا في النسخة الثانية من شريطة سنة 2021 لخلق دورة عن تحرير الأرشيف من الاستعمار، حيث دعوناك (مع زميلتي فرانثيسكا مازوويرو ونهى بينيديري) أنت ومدير مؤسسة أرشيف المغرب لمحادثة حول صيرورات التحرير من الاستعمار؛ دور المؤسسات والفنانين، وإشكاليات بلوغ الأرشيف. تمنينا فعلاً إمكانية تنزيل تعاون فعلي بين الفنانين، الباحثين والمؤسسات على أرض الواقع. لكن وضعت أسئلتنا جانباً على أساس أنها سيق أن أخذت بعين الاعتبار. أحسنا بإحباط كبير سنكننا.. لذلك بدأنا نتحدث عن فكرة خلق "بيان"، بدأنا نتحدث كذلك عن كيف يمكننا العمل وتغيير الأمور كباحثين وفنانين. هذا البيان باسمين، فكرنا فيه كدعوة للتحرك، لا ككلمات.

ياسمين: أعتقد حقاً أن النقاش مع مدير الأرشيف المغربي كان حافزاً لنا ، لأننا جننا بأمال كبيرة ، وكما قلنا ، تم رفض الكثير منها. من الواضح ، إن لم يكن هناك خلاف ، أنه كان هناك نقص في الإرادة من جانب المؤسسة لبناء شيء ما معاً. لذلك أعتقد أنه في التقليد الطويل للبيانات كانت هناك حاجة للتعاون وأيضاً الشعور بأن الكثير من الفنانين والباحثين لديهم إحباط مشترك فيما يمكن للمؤسسات القيام به ، لذلك جاء البيان كفكرة لنص ملموس للغاية يطالب المؤسسات بالتصرف. إن التحديات التي نواجهها مع هذا البيان يتردد صداها بالفعل في هذه المحادثة التي نجرىها الآن ، لأنها موجهة لمنصة مقرها المملكة المتحدة ، ولذا فإننا نحاول أيضاً معرفة كيف يمكننا التحدث عن فعل تحرري من الاستعمار (دي - كولونيالي) أثناء السعي للحصول على دعم المؤسسات الأجنبية أو المؤسسات الغربية. هذا يرجع بشكل أساسي إلى الافتقار إلى الدعم المؤسسي هنا في المغرب ، لكن لا يزال السؤال الكبير الذي نطرحه على أنفسنا ، كيف يمكننا أن نتملك فعلاً مع الحفاظ على كلية وحرمة أرشيفنا وذاكرتنا ، دون تأجيل التصورات الاستعمارية الجديدة للمغرب. لذا فإن أحد الأشياء التي فكرنا فيها هي اللغة. في حين أن هذه المحادثة التي نجرىها في الوقت الحالي باللغة الإنجليزية ، فإن أحد أهدافنا الكبيرة هو إنتاج نص ، سواء كان البيان باللغة الدارجة أو العربية ، ولذلك هناك أيضاً دعوة مفتوحة نحاول إطلاقها من أجل ضمان مشاركة الفنانين والباحثين ، وكذلك مشاركة المواطنين المغاربة الآخرين المتأثرين على المستوى العميق بهذا الشرخ. لذلك نخطط لكتابة البيان من خلال ورش عمل جماعية ، بحيث يكون ممثلاً لأصواتنا معاً ، ولكن في الوقت الحالي وفي هذه المحادثة ، اعتقدنا أنها ستكون فرصة رائعة للتحدث بالفعل عن بعض الأمثلة للمطالب التي نضعها في الاعتبار للبيان.

الأولى هي المطالب التي فكرنا في توجيهها إلى CCM ، المركز السينمائي المغربي ، لكوننا نحن الاثنان نعمل في السينما. تبلغ تكلفة دقيقة الفيلم في الوقت الحالي 7500 درهم ، مما يعني أنه بمجرد التغلب على جميع عقبات البلوغ والاطلاع

وتمكنت بالفعل من الوصول إلى الأرشيف ، يجب عليك دفع ما يعادل حوالي 700 يورو مقابل دقيقة واحدة للفيلم وهذا جنون. للإشارة فقط ، في فرنسا ، في L'INA ، وهي هيئة الأرشيف الخاصة بهم ، تدفع 150 يورو للدقيقة الواحدة ، وبالتالي فإن التكلفة في المغرب هي خمسة أضعاف تكلفة فرنسا ، وهو أمر لا معنى له عند مقارنة مصادر الدخل في المغرب أو حتى تمويل الأفلام. لذلك فإن أحد اقتراحاتنا هو إنشاء سعر للدقيقة بناءً على ميزانية الفيلم ، مع وضع حد أدنى معقول للسعر في الاعتبار ، علماً أن الاحتفاظ بالأرشيف مكلف. نحن نتفهم كل ذلك ، لكن لا يزال يتعين عليهم تكيف السعر مع ميزانية الفيلم ، خاصة أن نفس المؤسسة هي التي تمول الأفلام المغربية. فكرنا أيضاً في ضرورة خلق مجموعة أرشيف خاصة متاحة مجاناً عبر الإنترنت ، ثم للاطلاع على الأرشيفات غير المتوفرة عبر الإنترنت، يجب إتاحتها أولاً للجميع مجاناً. الاستخدام شيء يجب التحدث عنه من بعد ، لكن الاطلاع يجب أن يكون مجاني. وأخيراً ، سنطالب بنشر دليل على الإنترنت لجميع الأرشيفات المتاحة ، لأنه من الصعب جداً في الوقت الحالي معرفة مكان البحث عن أي أرشيف ، وأي أرشيف متاح ، وأي واحد أصابه التلف أو في حالة ترميم ، وهذه معلومات يجب أن تكون متاحة لنا جميعاً. الشيء الثاني الذي فكرنا فيه هو أن نطالب بمركزية جميع أنواع الصناديق الأرشيفية داخل نفس المؤسسة ، وسيكون رائعاً لو كان من الممكن أن يكون أرشيف المغرب لأن هذا هو الهدف الرئيسي ومهمة هذه المؤسسة ، هذا قبل كل شيء لتجنب المتاهات البيروقراطية والمحادثات التي على غرار المحادثة التي أجريناها ، تواجه الإجابة "لا تدخل في اختصاصنا". يمكن أن يكون لهذه المؤسسة بعد ذلك مراكز إقليمية في جميع أنحاء المغرب لتسهيل الوصول إلى الأرشيفات وإتاحتها ، والتي يمكن ربطها جميعاً معاً. ثم هناك بعض الأفكار الأخرى التي كانت لدينا ، وربما تريدون التحدث عن ذلك ريم.

ريم: أيضاً أحد الأشياء الرئيسية التي فكرنا فيها والتي سيكون من المهم أن نطالب بها في البيان ونؤكد عليها هو إنشاء صندوق أرشيف مرتبط بسنوات الرصاص ، والتي تمتد من نهاية الستينيات إلى أوائل التسعينيات. ، عندما كان النظام السياسي في المغرب عنيفاً وقمعياً تجاه الحريات بشكل عام ، وكانت هيئة الإنصاف والمصالحة تطالب بالفعل بإنشاء هذا الصندوق. النقطة الأخيرة هي التفكير في علاقاتنا الدبلوماسية مع الدول التي كانت مستعمرة سابقاً ، حيث لا يمكننا مواصلة الصداقات والتحالفات عندما لا يتم تلبية مطالب استعادة وإعادة أرشيفنا. طالما لا توجد ضغوط دبلوماسية حقيقية ، فلن تعيد فرنسا أو إسبانيا أو الدول الأخرى أرشيفاتنا. نريد أن نأخذ هذا البيان ونجعل أصواتنا مسموعة في المنظمات الدولية مثل اليونسكو للتدخل في هذه العملية التي يبدو أنها تستغرق سنوات وسنوات. نعتقد أن هذه كلها بذور أفكار ومحادثات مستقبلية مع المتأثرين بهذه المشكلة. نأمل أن نلهم أنفسنا ومجتمعات أخرى في البلدان الأخرى التي جُردت من أرشيفها من خلال ورش العمل وغيرها.

ياسمين: ذلك رجاؤنا. نأمل أن تكون هذه المحادثة مفيدة، وهي ليست إلا بداية صيرورة عملنا هنا ، ونحاول إشراك المزيد من الأشخاص ، لكننا نأمل حقاً أنه من خلال منصة "سكرين وورلد" ، ألا يكون هذا المشروع مجرد مصدر إلهام ، بل بداية دعوات حقيقية للعمل. شكرا ريم!

ريم: شكراً ياسمين، كان لقاءً ثرياً وممتعاً !